

العشرة المبشرون بالجنة

حييّ الأمة - ذو النورين

عثمان بن عفان



سمية عبد الحليم

مكتبة العبيكان

سلسلة العشرة المبشرون بالجنة



حيي الأمة - ذو النورين

عثمان بن عفان

رضي الله عنه

بقلم

سمية عبد الحليم

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان
حيي الأمة ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه.ـ الرياض.
٤٩ ص ؛ ١٧x٢٤سم (سلسلة العشرة المبشرون بالجنة ؛ ٣)
ردمك: ١-٩٤٣-٢٠-٩٩٦٠
١ ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص، ت ٣٥هـ.
٢ـ الخلفاء الراشدون أ ـ العنوان ب ـ السلسلة
ديوي ٢٣٩,٩ ٢٢/١٠٥٧

ردمك: ١-٩٤٣-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٠٥٧

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة
ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]

قال النبي ﷺ: « **يا عبد الله بن قيس قم فافتح الباب له وبشره بالجنة على بلوى تكون** »، فقمت ففتحت الباب فإذا أنا بعثمان بن عفّان فأخبرته بما قال النبي ﷺ فقال: « الله المستعان وعليه التكلان » ثم دخل فسلّم وقعد.

وعن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ:

« **غفر الله لك يا عثمان ما قدّمت وما أخرّت، وما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة** ».

المقدمة

«غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة».

هكذا جاءت كلمات الرسول عليه السلام، دعاء من الذي لا ترد له دعوة، ولا يرفض له مطلب، إنه الحبيب المصطفى عليه السلام.

فهنيئاً لك يا عثمان هذا الدعاء الكريم، وهنيئاً للمسلمين بك، لقد كان ـ رضي الله عنه ـ محبوباً في الجاهلية قبل الإسلام؛ لعلمه وحسن مجالسته وشدة حيائه وسعة كرمه.

هكذا كان عثمان في جاهليته، فكيف كان عثمان في إسلامه؟

هذا ما سوف نتعرف عليه في الصفحات القليلة الآتية التي نراها لا توفي هذا الصحابي الجليل حقه ولكنها ومضات تنير طريق الشباب للخير والحلم والكرم والحياء.

فهيا بنا نعيش لحظات مع هذه السيرة العطرة . . .

❁ ❁ ❁

صالح بني أمية

كانت بيوت بني أمية من أشهر بيوت قريش وأعلاها منزلة وأرفعها قدراً، وفي إحدى هذه البيوت الشريفة وُلد ونشأ هذا الرجل الكريم حيي هذه الأمة ذو النورين «عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف» رضي الله عنه، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف، فهو قرشي عريق.

وُلد ـ رضي الله عنه ـ بالطائف ـ حيث كانت بساتين أغنياء قريش ـ بعد عام الفيل بست سنين سنة (٥٧٦)م.

وأمه هي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبدمناف، وأمها هي البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ، توأمة عبدالله والد الرسول ﷺ. فأم عثمان بنت عمة رسول الله ﷺ.

كان رضي الله عنه في جاهلية قريش قبل الإسلام يكنى بأبي عمرو، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، وكان ـ حتى في جاهليته ـ شديد الحياء، ومن كبار التجار، وقال عن نفسه ـ رضي الله عنه ـ : «والله ما زنيت في جاهلية وإسلام قط».

كان رضي الله عنه جميلاً ربعةً ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه أبيض، مشرباً بحمرة، بوجهه نكتات جدري، كثير اللحية، عظيم الكراديس[1]، بعيد ما بين المنكبين، ممتلئ الساقين، طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه، وكان يصفر لحيته، ويشد أسنانه بالذهب، قال عنه أحدهم: «رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه» وقيل عنه «كان عثمان بن عفان أجمل الناس». وكان لين الجانب، حسن الخُلق، كثير الإحسان والحِلم رضي الله عنه. هكذا كان عثمان في جاهليته، فكيف كان في إسلامه ؟!

❁ ❁ ❁

(١) الكراديس: تام ضخم العظام.

إسلامُه رضي الله عنه وزواجه

أسلم عثمان رضي الله عنه في أول أيام الدعوة قبل دخول رسول ﷺ دار الأرقم، وكان قد تجاوز الثلاثين، دعاه أبو بكر رضي الله عنه قائلاً:

ـ ويحك يا عثمان !! والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل. هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صمّاء لا تسمع ولا تبصر ولاتضر ولا تنفع؟ فقال:

ـ بلى يا أبا بكر، والله إنها كذلك.

فقال الصديق رضي الله عنه:

ـ هذا محمد بن عبد الله قد بعثه ربُّه برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال:

ـ نعم.

وفي الحال مرّ عليهما رسول الله ﷺ فقال:

ـ يا عثمان، أجب الله إلى جنته، فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه. قال عثمان: «فوالله ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت

وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ـ ثم لم ألبث أن تزوجت رقية» رضي الله عنها.

وكان إسلامه بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة.

قالت خالته سعدى في إسلامه:

هدى اللهُ عثمان الصفي بقوله ... فأرشده واللهُ يهدي إلى الحقِ
فبايَعَ بالرأي السديد محمداً ... وكان ابن أروى لا يصدٌّ عن الحق
وأنكحه المبعوثُ إحدى بناتِه ... فكان كبدرٍ مازجَ الشمسَ في الأفقِ
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي ... فأنت أمين الله أُرسلت في الخلقِ

ولما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبي العاص فأوثقه رباطاً وقال:

ـ أترغب عن ملة آبائك إلى دين مُحدَث؟! والله لا أخلّيك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين.

فقال له:

ـ والله لا أدعه أبداً.

فلمّا رأى الحكمُ صلابته في تمسكه بدينه تركه.

وأسلمت أخته آمنة بنت عفان، وإخوته لأمه: الوليد وخالد وعمارة يوم الفتح وأسلمت أخته أم كلثوم من أمه أروى وهي من المهاجرات الأُوَل، وهي أول قرشية بايعت النبي ﷺ وتزوجت زيد بن حارثة، ثم خلفه عليها عبدالرحمن بن عوف وبعده الزبير بن العوام.

وفي غداة اليوم الذي أسلم فيه جاء أبو بكر بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي مسلمة بن عبد الأسد والأرقم ابن أبي الأرقم، فأسلموا وكانوا مع من اجتمع مع الرسول ﷺ ثمانية وثلاثين رجلاً.

ولما تزوج رقية كانا خير زوجين، ذهب أسامة بن زيد لدارهما حيث كانا مبعوثاً من قبل النبي ﷺ إليهما بإناء فيه لحم، فإذا رقية رضي الله عنها جالسة، فجعل أسامة ينظر مرة إليها ومرة إلى وجه عثمان، فلما رجع سأله النبي ﷺ:

ـ دخلت عليهما؟

ـ نعم.

ـ فهل رأيت زوجاً أحسن منهما؟

ـ لا يا رسول الله.

وكان رسول الله ﷺ يقول لابنته أم كلثوم لما تزوجها عثمان بعد رقية .

ـ « **إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد** » .

❁ ❁ ❁

عثمان صاحب رسول الله ﷺ

لم يترك عثمان صحبة رسول الله ﷺ منذ أسلم، ولم يتهاون في جهاده معه بنفسه وماله طوال حياة الرسول ﷺ، وكان دائماً طوع أمره، وكان رسول الله ﷺ شديد الحب لعثمان كثير التقدير له، يمدحه ويثني على خصاله في كل موقف.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ أبا بكر استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابساً مرط عائشة، فأذن له وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف.

ثم استأذن عمر وهو على حاله فقضى إليه حاجته ثم انصرف.

ثم استأذن عثمان رضي الله عنه فجلس النبي ﷺ وقال لعائشة:

ـ «**اجمعي عليك ثيابك**».

فقضى عثمان حاجته ثم انصرف، فقالت عائشة:

ـ يا رسول الله، لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟!

فقال ﷺ:

ـ إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال لا يُبلغ إليّ حاجته، إن عثمان رجل تستحيي منه الملائكة، أفلا أستحيي منه؟!.

وعثمان أحد الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وفي بيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الرسول ﷺ ا لناس فقال النبي ﷺ: « **عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله** »، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم.

وكان يقول دائماً إذا ذكر فتنة: « **يقتل فيها هذا مظلوماً** » وعن مُرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة يُقربها، فمر رجل مقنع في ثوب فقال: « **هذا يومئذٍ على الهدى** » فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت إليه بوجهي، فقلت: هذا؟

فقال ﷺ: نعم.

ولما آذت قريش المسلمين هاجر -رضي الله عنه- مع زوجته رقية فقال عنه رسول الله ﷺ: « **صحبهما الله! إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط** ».

ثم تابعه في الهجرة للحبشة سائر المهاجرين، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة، وسأل عنهما ﷺ حين غابت أخبارهما عنه حين هجرتهما الأولى للحبشة، فقالت له امرأة:

ـ رأيتها وقد حملها على حمار من هذه الدواب وهو يسوقها.

فاطمأن رسول الله ﷺ ودعا لهم بالخير والبركة.

وأنجب عثمان من رقية عبد الله في الحبشة فصار يكنى به بدلاً من تكنية الجاهلية (أبو عمرو).

إلا أن الغلام حين بلغ ست سنين نقره ديك في عينه فورم وجهه ومرض وقد مات في مرضه هذا، وصلى عليه ﷺ ونزل عليه أبوه عثمان حفرته.

وكان عثمان يلازم رسول الله ﷺ في الغزوات إلا أن يخلفه رسول الله ﷺ على المدينة كما حدث في غزوة ذات الرقاع وغزوته إلى غطفان.

وفي غزوة بدر خلّفه رسول الله ﷺ على ابنته رقية لمرضها، وكانت قد مرضت بالحصبة وتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشراً بظفر الرسول ﷺ بالمشركين، وحزن عثمان حزناً شديداً وقال لأبيها:

ـ يا رسول الله، وهل دخل على أحد ما دخل عليَّ، ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك!

فبينما هو يحاور الرسول ﷺ إذ أتى جبريل فقال النبي ﷺ: «**هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عزوجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها**» فزوجه إياها.

وبشّره الرسول ﷺ بالجنة فقال:

« أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ».

وصعد النبي ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف الجبل فقال: **« اثبت أحد؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ».**

وقيل في عثمان: إنه أعلم الناس بالمناسك وبعده ابن عمر.

❁ ❁ ❁

مستحق الجنة

استحق عثمان ـ رضي الله عنه ـ الجنة بأعمال كثيرة كان أعظمها تجهيزه لجيش العسرة في غزوة تبوك، وحفره لبئر رومة، أما تجهيزه للجيش فقد ذكر الله ذلك الجيش وتلك الغزوة في سورة التوبة حين قال:

﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]

لقد ندب رسول الله ﷺ الناس للخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم وأمر الناس بالصدقة، وحثهم على النفقة والحملان فجاؤوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجاء بماله كله فقال له ﷺ:

ـ هل أبقيت لأهلك شيئاً؟

فقال:

أبقيت لهم الله ورسوله.

وجاء عمر ـ رضي الله عنه ـ بنصف ماله فسأله:

ـ هل أبقيت لهم شيئاً ؟

فقال عمر: نعم نصف مالي.

وجاء عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ بمائتي أوقية، وتصدق عاصم ابن عدي بسبعين وسقاً من تمر، وجهز عثمان ـ رضي الله عنه ـ ثلث الجيش؛ جهزهم بتسعمائة وخمسين بعيراً وبخمسين فرساً، أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، وجاء بألف دينار في كمه حين جهز الجيش فنثرها في حجر رسول الله ﷺ فقبلها وهو يقول:

ـ «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»، «من جهز تجهيز جيش العسرة فله الجنة».

وخطب النبي صلى الله عليه وسلم فحثَّ على تجهيز جيش العُسرة فقال عثمان رضي الله عنه:

ـ عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها(١).

ثم نزل النبي ﷺ درجة من المنبر ثم حث الناس، فقال عثمان رضي الله عنه:

---

(١) أحلاسها: جمع حلس، كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل. وأقتابها: جمع قتب وهو الرحل.

ـ عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها.

فرأى الناس النبي ﷺ يحرك يده متعجباً ويقول:

ـ « **ما على عثمان ما عمل بعد هذا** » !! والتزم عثمان بثلاثمائة بعير.

وبعث عثمان بعشرة آلاف دينار فصُبت بين يدي الرسول ﷺ فجعل النبي يقلبها بين يديه ظهراً لبطن ويدعو لعثمان قائلاً:

ـ « **غفر الله لك يا عثمان، ما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ما يبالي عثمان ما عمل بعد هذا** » !! وبلغ ما جهز عثمان ثلث الجيش، حتى ما بقيت لهم حاجة إلا كفاهم رضي الله عنه.

بئر رومة

وكانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين فاشترى عثمان نصفها وأمر المسلمين أن يأخذوا حاجتهم من الماء في اليوم المخصص لعثمان، وبعد زمن وجد اليهودي أن لا أحد يشتري منه الماء فباع النصف الثاني لعثمان فوهبها كلها للمسلمين.

وقال النبي ﷺ في ذلك « **من حفر بئر رومة فله الجنة** » وسبق إليها عثمان.

وفي غزوة من الغزوات جهد الناس حتى رؤيت الكآبة في وجوه المسلمين والفرح في وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: « **والله لا تغيب الشمس حتى يأتيكم الله برزق** ». فعلم عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن الله ورسوله ﷺ سيصدقان، فاشترى أربع عشرة راحلة بما عليها من الطعام، وبعث للنبي تسعة فلما رأى النبي ﷺ ذلك قال:

ـ **ما هذا ؟**

فقيل:

ـ أهدي إليك من عثمان.

فعُرف الفرح في وجهه ﷺ والمسلمين، والكآبة في وجوه المنافقين ورفع الرسول ﷺ يديه حتى رئي بياض إبطيه يدعو لعثمان دعاء ما سُمع مثله لأحد قبله ولا بعده يقول:

« **اللهم أعطِ عثمان، اللهم افعل بعثمان** ».

رضي الله عنك يا ذا النورين ...

❁ ❁ ❁

كتابته الوحي وعلمه وتعبده

كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالوحي والرسول ﷺ يقول لعثمان رضي الله عنه:

ـ **اكتب يا عثيم**. تقول عائشة بنت الصديق رضي الله عنها:

ـ «فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله».

وكان رسول الله ﷺ إذا جلس، جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان بن عفان بين يديه، وكان كاتب أسرار رسول الله ﷺ.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحيي الليل فيختم القرآن في ركعة، فعن عطاء بن أبي رباح قال:

إن عثمان بن عفان صلّى بالناس، ثم قام خلف المقام فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره فسميت بالبتيراء.

وكان يضرب به المثل في التلاوة.

وكان يصوم النهار ويصلي الليل طوال حياته، ولم يكن يلي له أحد وضوءه حتى قيل له:

ـ لو أمرت بعض الخدم فكفوك وضوءك ليلاً ؟!

فقال:

ـ لا، الليل لهم يستريحون فيه.

وكان عثمان قد سلس بوله عليه فداواه، ثم أرسله فكان يتوضأ لكل صلاة.

وكان ـ رضي الله عنه ـ شديد الخوف من الله، وكان له عبد فقال له:

ـ إني كنت عركت أذنك فاقتص مني.

فأخذ العبد بأذنه، فقال عثمان: أشدد. يا حبذا قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة.

وروي عنه أنه قال:

«لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتها أصير».

وقال فيه علي ـ رضي الله عنه ـ: «كان عثمان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب».

وقال: أنا وطلحة والزبير وعثمان كما قال الله تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧)﴾ [الحجر: ٤٧]:

وسأله سائل عن عثمان بعد مقتله، فقال له:

«إن عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين».

وروى عن رسول الله ﷺ مائة وستة وأربعين حديثاً.

❁ ❁ ❁

كراماته وفراسته

يدافع الله عن أوليائه الصالحين، وفي الحديث القدسي:

« **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** » ومما رُوي أن « جهجاهاً » الغفاري تناول عصا عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكسرها على ركبته فمرض بالحكة في رجله جزاء فعلته.

ورئي رجلٌ مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين أعمى العينين منكباً لوجهه فسأله الناس عن حاله فقال:

ـ إني قد كنت ممن دخل على عثمان الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان:

ـ « ما لك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار » فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هارباً فأصابني ما ترى ولم يبق من دعائه إلا النار فأنا أقول ليل نهار: يا ويلاه النار.

فقال الناس: بُعداً لك وسحقاً.

وكانت له فراسة وفطنة ليستا إلا لمؤمن، دخل عليه رجل فقال له عثمان: أيدخل عليّ أحدكم والزنا في عينيه ؟!

فقال الرجل متعجباً: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟.

فقال: لا، ولكن فراسة صادقة.

❁ ❁ ❁

خلافته

حديث الشورى:

مدح الله الذين آمنوا بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، وهذا هو المبدأ الذي انُتُخب على أساسه أبو بكر، فلما طُعِنَ ـ عمر رضي الله عنه ـ قيل له:

ـ يا أمير المؤمنين، لو استخلفت؟

فقال:

ـ من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك ﷺ يقول: **إنه أمين هذه الأمة** . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته. فإن سألني ربي قلت سمعتُ نبيك ﷺ يقول: **إن سالماً شديد الحب لله**.

فقيل له:

ـ أدلك على من تستخلف؟ عبد الله بن عمر.

فقال عمر:

قاتلك الله، والله ما أردتَ الله بهذا، ويحك. لا إرب لنا في أموركم، ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويُسأل عن أمر أمة محمد ﷺ، أما لقد جهدت نفسي وحَرَمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وِزْر ولا أجر إني لسعيد.

ولكنها شورى في ستة رجال: عثمان وطلحة وعلي والزبير وابن عوف وابن أبي وقّاص، وعبد الله ولدنا معكم مشيراً وليس منكم، إنَّ لكم ثلاثة أيام تتشاورون ولا يأتين عليكم اليوم الرابع إلا وعليكم منكم أمير، ولا أظن أن أحداً سيلي الأمر عدا عثمان أو علي، .. وليصلِّ صهيب بالناس.

واتفق عبد الرحمن مع أصحابه على أن يعطوه مواثيقهم على أن يكونوا معه على من بدّل وغيَّر، وأن يرضوا من اختاره لهم على ميثاق الله أن لا يخص ذا رحم لرحمه ولا يألو المسلمين. فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله.

ثم خلا بعثمان، فأشارا عثمان عليه بعلي.

وخلا بعلي فأشار عليه بعثمان.

وخلا بالزبير وبعده بسعد فأشارا عليه بعثمان.

وكان عمر قد مات قبل أن يتفقوا على هذا، فخاف عبد الرحمن من أن تقوم فتنة بين المسلمين فقال للمسلمين في المسجد:

قد استخلفنا عثمان فهل رضيتم؟

فقال عبد الله بن أبي ربيعة: إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا.

وقال عبد الرحمن لعلي: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلاً، فإني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان.

فخرج علي وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

وقال المقداد: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته من الذين يقضون للناس بالحق وبه يعدلون (يعني علياً) فقال:

ـ يا مقداد: والله لقد اجتهدت للمسلمين.

وبايع علي عثمان رضي الله عنهما كما بايعه عامة المسلمين.

كان أكثر المشيرين يشيرون على عبد الرحمن بعثمان، فتولى الخلافة تبعاً لمبدأ الشورى سنة (٢٤) هـ.

ولمّا بويع عثمان خرج للناس وهو أشدهم كآبة فأتى منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس قائلاً:

ـ «أيها الناس إن أول مركب صعب، وإن بعد اليوم أياماً، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله».

وكان عثمان يقصد أنه لا يحسن الخطابة، لكنه خطب بعد ذلك فأحسن، ونصح المسلمين بالزهد في الدنيا وعدم الركون إليها.

وأول ما فعله عثمان أن جلس في جانب المسجد ودعا عبيد الله بن عمر وكان قد قتل جماعة من الذين تسببوا في قتل أبيه، وشاور الصحابة في أمره فأشار علي بقتله، فقال عمرو بن العاص.

ـ لا يُقتل عمر بالأمس ويُقتل ابنه اليوم.

فجعلها عثمان دية واحتملها وقال: أنا وليه.

رحمك الله يا ابن عفّان !!

❁ ❁ ❁

الفتوحات في عهد عثمان

المسلمون والفرس:

ظن الفرس أن المسلمين صاروا ضعفاء بعد أن استشهد الخليفة الفاروق ـ رحمه الله ـ فنقضت معظم المقاطعات الفارسية معاهداتها مع المسلمين، لكنّ عثمان ـ رضي الله عنه ـ لم يقف مكتوف اليدين، بل جهز الجيوش وأمر ولاة الأمصار بالتصدي لحركة الردة الفارسية، وكان من أهم ولاته الوليد بن عقبة في الكوفة وعبد الله بن عامر في البصرة.

وبذل المسلمون جهداً خارقاً من عام (٢٤ – ٣١هـ) لإعادة فتح بلاد فارس مرة أخرى، وبموت يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان طويت صفحة دولة فارس من التاريخ.

واستمر المسلمون في تطبيق المعاهدات القديمة مع الفرس كما استمروا في معاملتهم بالحسنى، فالإسلام يدعو إلى الحرية والتسامح والعدل والرحمة، وبدأت البلاد الفارسية تسلم للأمة الإسلامية وأسهمت إسهاماً كبيراً في بناء حضارتها.

ومن أهم علماء المسلمين من تلك البلاد الغزالي والبخاري ومسلم وغيرهم من الذين أثروا العلوم الإسلامية، وحفظوا للمسلمين الحديث، ووضحوا لهم الشريعة.

المسلمون والروم: (في الشام)

بعد وفاة الفاروق كذلك هاجم الروم الشام بقوات كبيرة من آسيا الصغرى فطلب معاوية بن أبي سفيان والي الشام المدد من الخليفة ذي النورين الذي بعث للوليد بن عقبة والي الكوفة بعد عودته من غزو فارس وانتصاره عليهم، قائلاً:

ـ « .. أما بعد .. فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إليَّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي، والسلام».

فجمع الوليد بن عقبة أهل الكوفة وخطب فيها قائلاً:

ـ قد كتب إليَّ أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين الثمانية آلاف إلى العشرة آلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام فإنهم قد جاشت عليهم الروم،

وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المبين، فانتدبوا ـ رحمكم الله ـ مع سلمان ابن ربيعة الباهلي » فلم تمض ثلاثة أيام حتى خرج ثمانية آلاف رجل منهم حتى دخلوا في أرض الروم وملؤوا أيديهم من المغنم وافتتحوا حصوناً كثيرة.

الروم وعودة لمصر:

لم ييأس الروم على الرغم من هزيمتهم في الشام، فما إن اعتلى الإمبراطور «قنسطانز الثاني» العرش حتى سيطرت عليه فكرة استرداد الشام ومصر فأرسل حملةً لمصر سنة (٢٥) هـ بقيادة «مانويل» تمكنت من السيطرة على عروس البحر المتوسط الإسكندرية (والذي كان يسمى سابقاً بحر الروم) وساندهم في ذلك من في المدينة من الروم والإغريق. وبدؤوا يتوغلون جنوباً إلى حصن بابليون لكنّ عثمان كلف عمرو بن العاص بالتصدي لهم رغم أنه كان قد أُعفي من ولايتها حسب رغبته الشخصية، لكنه لم يتردد في الدفاع عنها، وهزم الروم هزيمة منكرة، قُتل على إثرها قائدهم (مانويل) وطردهم من مصر نهائياً.

فتح الشمال الإفريقي:

من أشهر قواد المسلمين آنذاك عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان والياً على مصر من قبل الخليفة ذي النورين، فكتب إلى الخليفة يخبره بأن

الروم الذين لا يزالون يسيطرون على شمال إفريقيا يغيرون على حدود مصر الغربية، وأشار عليه بمواجهتهم قبل أن يتجرؤوا ويهاجموا مصر نفسها، واستشار عثمان كبار الصحابة فيما ورد إليه من ابن أبي السرح واستقر رأيه على تجريد حملات عسكرية لردعهم وكف عدوانهم، كما أرسل إليه جيشاً من المدينة مدداً يضم عدداً من الصحابة كابن عبّاس وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وانطلق جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن أبي السرح سنة ٢٧ هـ، وتوغل غرباً حتى وصل إلى (القرطاجة) عاصمة إقليم تونس ودارت عدة معارك بين المسلمين وبين ملكها «جرجير» وانتهت بانتصار المسلمين وقتل هذا الملك بيد الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير. لكن تلك الحملة كانت تهدف إلى ردع العدوان وليس إلى الاستقرار، فاكتفى عبد الله بن أبي السرح بعقد معاهدات صلح مع زعماء تلك البلاد.

فتح بلاد النوبة:

بعد أن عاد عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى مصر قام بفتح بلاد النوبة جنوباً سنة (٣١) هـ، إلا أن تلك البلاد لم تخضع للمسلمين، ولكن الأمر انتهى بعقد صلحٍ بين الطرفين، اتفقا فيه على تبادل التجارة والمنافع.

بناء الأسطول الإسلامي:

من أهم الإنجازات التي تمت في عهد الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ إنشاء الأسطول البحري فبعد الفتوحات الإسلامية في مصر والشام كان المسلمون قد سيطروا على الشواطئ الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط، فكانو بحاجة لقوة بحرية بالغة القوة، شديدة المهارة في القتال بحراً، تمكنهم من الحفاظ على شواطئهم ضد هجمات أساطيل الروم.

وقد عرض معاوية هذا الأمر على الخليفة عمر ـ رضي الله عنه ـ قائلاً:

ـ «يا أمير المؤمنين هناك قرية من قرى الروم ـ يقصد جزيرة قبرص ـ في عرض البحر تتخذها أساطيلهم قاعدة للعدوان علينا، وهذه القرية قريبة من حدودنا لدرجة أن أهل حمص يسمعون نباح كلابهم وصياح دجاجهم فأذن لنا ببناء أسطول حربي بحري» فرفض عمر ذلك بشدة.

وقال لمعاوية:

«لمسلم واحد أحب إليَّ مما حوَت الروم» لقد خاف عمر على المسلمين من أهوال البحار وطلب من معاوية أن يستعيض عن ذلك بتقوية حصون السواحل، فامتثل معاوية ولكنه لم يفقد الأمل.

وعندما تولىّ عثمان شؤون الخلافة بادر معاوية إلى عرض مشروعه القديم عليه والذي يقضي بإنشاء أسطول بحري، وفي البداية كان رفض عثمان قاطعاً للسبب نفسه الذي رفض من أجله عمر، لكنه اقتنع في النهاية بسبب إلحاح معاوية الشديد عليه، غير أنه اشترط على معاوية ألاّ يجبر أحداً من المسلمين على العمل في الأسطول.

وبالتعاون الجاد بين مصر والشام أو بين عبد الله بن سعد ومعاوية بن أبي سفيان برز الأسطول الإسلامي وصار قوةً لا يستهان بها. وقد بُني الأسطول عام ٢٤ هـ.

وبعدها بأربع سنوات فقط كانت أول معركة ناجحة لهذا الأسطول العظيم.

فتح جزيرة قبرص:

تعد قبرص من أكبر جزر البحر المتوسط في أقصى شرقيه، وهي جزيرة جبلية بها سلسلتان من الجبال، يشتغل أهلها بالزراعة؛ لأن أرضها غاية في الخصوبة، وكانت تابعة للروم.

سار إليها عبد الله بن سعد من مصر بسفن أقلعت من الإسكندرية، فاجتمعوا عليها، فصالحهم أهلها على جزية (٧٠٠٠) دينار كل سنة،

وعلى أن يُعلموا المسلمين بأي تحركات عدائية من جانب الروم ضد سواحلهم، وأن يقف أهل قبرص على الحياد إذا نشبت حرب بين المسلمين والروم، وألاَّ يمنعوا المسلمين من المرور بجزيرتهم إذا احتاجوا إلى ذلك.

وماتت في هذه الغزوة أم حرام بنت ملحان الأنصارية زوجة عبادة بن الصامت، ألقتها بغلتها بجزيرة قبرص فاندقت عنقها فماتت تصديقاً لقول النبي ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ يكرمها ويزورها في بيتها وأخبرها أنها شهيدة.

وفي سنة (٢٨) هـ وهي السنة التي فتحوا فيها جزيرة قبرص تزوج عثمان ـ رضي الله عنه ـ بنائلة بنت الفرافصة، وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها.

لكنّ أهل قبرص لم يلتزموا بشروط الصلح، مما جعل معاوية يعاود غزو الجزيرة مرة أخرى سنة (٣٣) هـ ويضمها إلى دولة الخلافة وينقل إليها اثني عشر ألفاً من المسلمين من أهل الشام، وأسكنهم فيها وبنى لهم الدور والمساجد.

موقعة ذات الصواري (٣٤) هـ:

لما برز الأسطول الإسلامي في البحر المتوسط خاف الروم على سطوة أسطولهم، فجهزوا أسطولهم وحشدوا جميع قواتهم البحرية بقيادة

الإمبراطور « قنسطانز الثاني » وكان يظن أنَّ المسلمين ضعفاء في البحر بحيث يستطيع القضاء عليهم وعلى أسطولهم ببساطة، لكنّ الله هزمه شر هزيمة بقيادة قائد المسلمين عبد الله بن سعد بن أبي السرح والي مصر، وسميت المعركة بذات الصواري لكثرة السفن المشتركة من الجانبين [خمسمائة سفينة من جانب الروم، ومائتي سفينة من جانب المسلمين] ودارت جنوب شاطئ تركيا، وانتصر المسلمون انتصاراً بالغاً مظفراً، ونجا الإمبراطور بأعجوبة ولم يرجع لعاصمته القسطنطينية بل ذهب لجزيرة صقلية قبالة شاطئ تونس ليحمي ما تبقى من دولة الروم في شمال إفريقيا؛ لكنه قُتِلَ في صقلية سنة (٦٨٨)م.

لقد انتصر المسلمون انتصاراتٍ باهرة على أعدائهم بفضل الله ثم بفضل تمسكهم بدينهم وعقيدتهم، وسادوا الدنيا بإسلامهم وكانوا في جهادهم يهتفون قائلين:

الله أكبر إن الظلم ينهار ... في الشرق والغرب للإسلام تيار

هذا الذي وعد الرحمن عِصبته ... إن تنصروا الله ينصركم ويختار

فتح أرمينيا والقوقاز:

من مدن أرمينيا الشهيرة خلاط وقاليقلا وأذربجان وأوجيش، وفي الجهة الشرقية من سلسلة جبال أرمينيا جبل الجودي الذي استوت عليه

سفينة نوح، ومن المعروف أن العرب دخلوا أرمينيا مرتين أولاهما في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ والثانية في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ فتحت في عهد عمر سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م) أما فتحها في عهد عثمان فكان سنة (٢٦هـ/ ٦٤٦م). وفتح المسلمون بلاد القوقاز مع بلاد أرمينيا كان الفتح لتلك البلاد في العهد العمري فتحاً على الجزية، لم يكن عند المسلمين الجند الكافي لسد ثغورها، وتوطيد الأمن فيها، وتثبيت كلمة المسلمين في نواحيها المتنائية، لكن هذا الفتح كان تمهيداً للفتح الثاني.

في خلافة عثمان نقض أهل تلك البلاد عهدهم مع المسلمين، فلما علم عثمان أمر معاوية أن يغزو تلك البلاد، فوجه معاويةُ حبيب بن مسلمة إليها في ستة آلاف جندي، ثم أمده عَثمان بعد ذلك بجند من الشام والجزيرة والكوفة، وكان مدد الكوفة بقيادة: سلمان بن ربيعة الباهلي، وكان يتميز بالإقدام والمكيدة في الحرب، ولما وصل حبيب بن مسلمة بجيشه افترقا، فأخذ حبيب في فتح أرمينيا الغربية وسلمان في فتح أرمينيا الشرقية.

وصار حبيب يفتح في اتجاهه الذي سلكه حتى انتهى إلى بلاد القوقاز في شمال أرمينيا، وانتهى سلمانَ في شرقيها مما يلي بحر الخزر.

مصحف عثمان رضي الله عنه

للقرآن الكريم صورتان: صورة صوتية مقروءة، وصورة مكتوبة مدونة، وقد حرص الرسول ﷺ على تدوين الآيات فور نزولها، وقبل موته ﷺ راجع مع سيدنا جبريل عليه السلام القرآن مرتين، وراجع معه ترتيب الآيات والسور مرتين.

إن الصحابة قد حفظوا القرآن باللهجات التي درجوا عليها، وأجاز لهم النبي ﷺ ذلك، ولذا ظهر الاختلاف في وجوه القراءة بين الصحابة من بدء نزول القرآن نتيجة للهجة التي اعتادها اللسان.

ولما جُمع القرآن الجمع الأول في عهد الصديق ـ رضي الله عنه ـ بهيئته المكتوبة بقيت الصور الصوتية كما هي، ولما فتحت البلاد وتفرق الصحابة فيها، أخذ أهل كل إقليم يقرؤون القرآن بقراءة الصحابي أو الصحابة الذين عاشوا بينهم، ومع اتساع الفتوحات زاد الخلاف بين المسلمين حول قراءة القرآن وتحول الأمر إلى تعصب، ففزع الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان وكان في أذربيجان فذهب لعثمان وأخبره بما رأى. جمع عثمان الصحابة وأخبرهم فرأوا جميعاً ضرورة جمع القرآن على مصحف واحد في التلاوة.

وأرسل عثمان لحفصة بنت عمر ـ رضي الله عنها ـ أن تبعث إليه بالمصحف الذي جُمع في عهد الصديق وحُفظ عندها بعد مقتل عمر رضي الله عنه.

ثم جَمع عثمان زيد بن ثابت الذي جمع القرآن الجمع الأول، وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم أن ينسخوا القرآن وقال لهم:

ـ «إذا اختلفتم في كلمة أو كلمات فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم» ثم أرسل إلى كل إقليم مصحفاً وأمر بإحراق ما سوى ذلك.

وسُمي هذا المصحف بمصحف عثمان أو المصحف الإمام.

❁ ❁ ❁

رؤياه ووصيته

عن عبد الله بن سلام أنه قال:

«أتيت عثمان وهو محصور أسلم عليه فقال: مرحباً بأخي مرحباً بأخي أفلا أحدثك ما رأيت في المنام؟ فقال بلى، قال: رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة (كوة في البيت فيها الضوء)، فقال لي: أحصروك؟ قلتُ: نعم.

فقال: عطّشوك؟ قلتُ: نعم.

فأدلى لي دلواً من ماء فشربت حتى رويت، فإني لأجد برداً بين كتفيّ وبين بدني، فقال لي: إن شئت نُصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا. قال: فاخترت أن أفطر عندهم». فقتل عثمان في ذلك اليوم.

ولما قتل عثمان فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوهُ فوجدوا فيه ورقة مكتوباً فيها:

«هذه وصية عثمان، بسم الله الرحمن الرحيم،عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيى وعليها يموت، وعليها يُبعث إن شاء الله».

دفنه رضي الله عنه

بقي عثمان ثلاثة أيام لم يدفن، ثم صلى عليه جمع من الصحابة منهم جبير بن مطعم وحكيم بن حزام، وشهد جنازته كذلك طلحة وعلي وزيد ابن ثابت وعامة الصحابة.

وقال الحسن: دفن في ثيابه بدمائه، لم يغسل.

ومات رضي الله عنه عن اثنين وثمانين سنة.

وقالت السيدة عائشة حين علمت بمقتله:

- «والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم» تعني أمثال زعماء الفتنة والثائرين عليه.

فرحمك الله يا ابن عفان يا حيي هذه الأمة.

❁ ❁ ❁

المحتويات

الموضوع	الصفحة



صحابة رسول الله ﷺ نجوم هذه الأمة، بهم نقتدي، ومنهم نأخذ النماذج الوضيئة للإسلام.

فأعمالهم مبهرة، وسيرتهم مفخرة لكل مسلم، وفي مقدمة هؤلاء الصحابة الأجلاء ثلة من الأخيار امتازوا على غيرهم بسجايا حميدة وفعالة سديدة فكانوا أمثلة جليلة لإخوانهم، مصابيح تضيء الطريق لمن بعدهم، فاستحقوا بشارة رسول الله ﷺ لهم بالجنة بشروا بها في الدنيا قبل الآخرة وأصبحت هذه البشرى وساماً على صدورهم ولقباً زين أسماءهم وزادها شرفاً، هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة.

وهذه المجموعة من الكتب تعرض علينا صوراً مشرقة من حياة هؤلاء الأبرار ليكونوا لنا قدوة نقتفي أثرها ونجوماً نهتدي بضوئها.

ويسر مكتبة العبيكان أن تنشر هذه الكتب لتكون غذاءَ روح الأمة ليكونوا خير خلف لخير سلف، فيعيدوا لهذه الأمة مجد هذا والله من وراء القصد.




ردمك: ١-٩٤٣-٢٠-٩٩٦٠


7000352

